مجلة عيون المسائل
Oyunul-Mesail Journal
العدد 6 مجلد 3 – 30 / 06 / 2025
DOI: https://doi.org/10.5281/zenodo.15774379

الربط بين آيات الثواب والعقاب، دراسة تحليلية لآيات الربا في سورة البقرة

Connection Between Verses of Reward and Punishment: An Analytical Study of Riba Verses in Al-Baqarah.

أحمد الجاسم

طالب ماجيستير، كلية الإلهيات، جامعة ماردين أرتكلو، تركيا
ahmedaltameemy87@gmail.com
https://orcid.org/0009-0009-6071-9862

للاستشهاد بهذا البحث:

أحمد الجاسم ، "الربط بين آيات الثواب والعقاب، دراسة تحليلية لآيات الربا في سورة البقرة"، *مجلة عيون المسائل للدراسات الإسلامية*، 6/3 (2025)، 125–137.

ملخص

يهدف يتناول هذا البحث العلاقة بين آيات الثواب والعقاب في القرآن الكريم، مع التركيز على أحكام الربا في سورتي البقرة وآل عمران من منظور بلاغي وتفسيري. يهدف البحث إلى دراسة كيفية توظيف أساليب الترغيب والترهيب في تقديم الأحكام الشرعية للربا، حيث تعمل هذه الأساليب على تعميق الأثر النفسي والتربوي، مما يعزز مفاهيم التقوى والالتزام الشرعي. يكشف البحث عن الدور المركزي للبلاغة في النص القرآني، حيث تظهر آيات الربا تكاملاً دقيقًا بين التشريع والبيان، إذ لا يقتصر تحريم الربا على مجرد حكم فقهي، بل يرتبط بجزاء أخروي ودنيوي يؤثر في الفرد والمجتمع، في هذا السياق، يناقش البحث تفسير كبار العلماء لهذه الآيات، مستعرضًا الأبعاد البلاغية والدلالية التي تؤكد أهمية الربط بين الوعد الإلهي بالثواب والتحذير من العقاب، مما يسهم في تحقيق المقاصد الشرعية الكبرى مثل العدالة الاجتماعية، وحماية الأموال من الاستغلال، وتطهير النفس من الطمع والجشع، وتعزيز ثقافة التكافل بين أفراد المجتمع. ومن خلال تحليل النصوص، يتضح أن التهديد بالحرب الإلهية، والتذكير بيوم الرجوع إلى الله، والتقسيم بين التائب والمصرّ، كلها عناصر تهدف إلى ترسيخ الرقابة الذاتية لدى الفرد، مما يسهم في الحدّ من التجاوزات الاقتصادية ومواجهة ظاهرة الربا بفعالية على المستويين الاجتماعي والاقتصادي، إضافةً إلى ذلك، يبرز البحث الدور التربوي للأساليب البلاغية المستخدمة في هذه الآيات، حيث تم توظيف التشبيه، والإطناب، والشرط، والتقسيم ليس فقط لزيادة الإيضاح بل لتحقيق تأثير تربوي عميق. إن هذه الأساليب تجعل القارئ أكثر إدراكًا لخطورة الربا من خلال استحضار صور حسية ومعنوية تكرّس في ذهنه الأثر السلبي لهذه المعاملة المالية المحرمة. بناءً على ذلك، يخلص البحث إلى أن الربط بين الثواب والعقاب في آيات الربا يمثل منهجًا قرآنيًا فعالًا يسهم في ترسيخ القيم الأخلاقية والالتزام الشرعي، إلى جانب دوره في مكافحة الربا على المستويات الفقهية والاجتماعية والاقتصادية، مما يؤكد أهمية فهم هذا الأسلوب في تعميق الفقه القرآني وتحقيق الأثر التربوي المرجو.

الكلمات المفتاحية: الفقه الإسلامي، آية الربا، البلاغة القرآنية، الترغيب والترهيب، العقوبات الأخروية.

Abstract

This research examines the interrelation between Qur'anic verses of reward and punishment, with a particular focus on the rulings on usury (riba) in Surahs Al-Baqarah and Aal Imran from rhetorical and exegetical perspectives. It aims to explore how the Qur'an employs encouragement and deterrence in presenting these legal rulings, emphasizing their psychological and educational impact in reinforcing piety and adherence to Islamic law. The study highlights the integral role of Qur'anic rhetoric, illustrating that the prohibition of riba is not merely a juridical ruling but is intricately linked to both worldly and eschatological consequences, thereby deepening its moral influence on individuals and society. Through an analysis of major exegetical interpretations, the research examines how the correlation between divine promise and warning aligns with broader objectives of Islamic jurisprudence, such as social justice, financial integrity, moral purification from greed, and fostering economic solidarity. The study further underscores the rhetorical efficacy of Qur'anic discourse in addressing usury by incorporating elements such as the threat of divine warfare, reminders of the return to God, and the distinction between the repentant and the persistent offender all of which serve to instill self-regulation and mitigate economic transgressions. Additionally, the research explores the pedagogical dimension of rhetorical techniques employed in these verses, including simile, amplification, conditional structures, and categorization. These stylistic features are not merely ornamental but function as essential tools for deepening the reader's awareness of the dangers of riba by invoking vivid imagery and persuasive argumentation. Consequently, the study concludes that the Qur'anic linkage between reward and punishment in the context of riba represents a profound theological and legal methodology, reinforcing ethical principles, legal commitment, and the regulation of financial practices within Islamic law. This underscores the necessity of comprehending such rhetorical structures to enhance Qur'anic jurisprudence and maximize its intended educational impact.

Keywords: Islamic Jurisprudence, Verse on (riba), Qur'anic rhetoric, Encouragement and Deterrence, Eschatological Punishment.

المقدمة

إن من أعظم خصائص القرآن الكريم أنه يجمع في خطابه بين عمق التشريع وبلاغة البيان، حيث يزاوج بين الأحكام وبين ما يعزز تلقيها في النفس الإنسانية من ترغيب وترهيب، ووعد ووعيد. ويُعدُّ أسلوب الربط بين الثواب والعقاب أحد أبرز الأساليب القرآنية التي تُسهم في غرس المبادئ، وتقوية الوازع الديني، وترسيخ القيم السلوكية، وهو من أساليب التربية القرآنية التي تخاطب العقل والقلب والوجدان معًا.

ويظهر هذا الربط بوضوح في مواضع كثيرة من القرآن الكريم، حيث لا يُذكر الأمر الإلهي أو النهي إلا ويُعقبه وعد للممتثل أو وعيد للمخالف، تحقيقًا للتكامل بين التشريع والتأثير النفسي، وبيانًا لعاقبة الطاعة والمعصية. ويزداد هذا الأسلوب أهمية حين يتصل بالقضايا الكبرى التي تمس كيان المجتمع وعدالته الاقتصادية، كما في قضية الربا، لما لها من أثر عميق في الفساد المالي، والفجوة الاجتماعية، وظلم المحتاجين.

وقد وردت آيات الربا في سياقات متعددة، أبرزها ما جاء في سورة البقرة، وجاءت هذه الآيات مصحوبة بوصف دقيق لعقوبة آكلي الربا، مقرونة بوعد للممتنعين عنه، في توازن بديع بين التخويف من العذاب والترغيب في الرحمة، مما يستوجب الوقوف عند هذه الآيات وتحليلها من منظور بلاغي وتربوي وتشريعي.

ومن هنا تنبع أهمية هذا البحث، الذي يسعى إلى دراسة ظاهرة الربط بين الثواب والعقاب في آيات الربا، من خلال تحليل الأساليب البلاغية والغايات التربوية والتشريعية التي تضمنتها هذه الآيات، مع الاستفادة من أقوال المفسرين والبلاغيين في بيان أبعاد هذا الأسلوب وتأثيره.

ويعتمد هذا البحث على المنهج التحليلي البلاغي والاستقرائي المقارن، حيث يتم تتبع الآيات، واستقراء السياقات، وتحليل التعبيرات، ومقارنة الطرح القرآني في السور المختلفة، مع توثيق أقوال العلماء في هذا المجال، سعيًا إلى الإسهام في إبراز جانب من جوانب الإعجاز القرآني في التشريع والتأثير.

أهمية البحث

تنبع أهمية هذا البحث من عدة جوانب شرعية وبلاغية وتربوية، تتكامل فيما بينها لتسلّط الضوء على أحد الأساليب القرآنية الفريدة في معالجة القضايا الكبرى، ويمكن إبراز هذه الأهمية في النقاط الآتية:

إبراز البعد التربوي والتشريعي في الأسلوب القرآني

يُسهم هذا البحث في الكشف عن وظيفة أسلوب الترغيب والترهيب في القرآن، ودوره في توجيه السلوك وتقويم النفوس، من خلال دراسة نموذج تطبيقي يتمثل في آيات الربا، مما يعمّق فهم القارئ للرسالة التربوية في النص القرآني.

الكشف عن الجمال البلاغي في الربط بين الثواب والعقاب

يُظهر البحث كيف يوظف القرآن الكريم الأساليب البلاغية، مثل المقابلة، والطباق، والتقديم والتأخير، والتدرج، في عرض الثواب والعقاب بطريقة تؤثر في المتلقي وتحثّه على الامتثال، مما يعزز حضور البلاغة كأداة تشريعية فعّالة.

التركيز على قضية الربا بصفتها قضية ذات أبعاد اقتصادية واجتماعية

يكتسب البحث أهمية خاصة من خلال تناوله آيات الربا، لما لهذه القضية من أثر كبير في العدالة الاجتماعية والاقتصادية، حيث يُبرز البحث كيف وازن القرآن بين الزجر عن هذه الجريمة الاقتصادية، والوعد لمن تاب وأصلح.

إثراء الدراسات القرآنية المقارنة

من خلال المقارنة بين السياقات التي وردت فيها آيات الربا، وبيان الفروق بين عرضها في سورتي البقرة وآل عمران، يسهم البحث في تطوير أدوات التحليل النصي للقرآن الكريم ضمن منهج يجمع بين البلاغة والتفسير والتشريع.

تعزيز الفهم العملي للخطاب القرآني

من خلال الربط بين الأثر الوعظي للآيات ومقاصدها التشريعية، يقدّم البحث نموذجًا لفهم النص القرآني في ضوء التكامل بين البيان والتوجيه، وهو ما يفيد الدعاة والمربين والباحثين على السواء.

مشكلة البحث

يتميّز القرآن الكريم بأسلوبه الفريد الذي يزاوج بين تقرير الأحكام الشرعية والتأثير الوجداني في النفوس، من خلال توظيف أساليب الترغيب والترهيب، والوعد والوعيد، والثواب والعقاب. وتُعدّ آيات الربا من أبرز المواضع التي يظهر فيها هذا الربط، لما تتضمّنه من تشريعات حاسمة وتحذيرات شديدة ووعود مطمئنة، ومع ذلك فإن هذا الجانب البلاغي كثيرًا ما يُغفل عند تناول أحكام الربا.

ومن هنا تنشأ مشكلة هذا البحث، والمتمثلة في التساؤل الرئيس الآتي:

ما أوجه الربط بين آيات الثواب والعقاب في سياق آيات الربا؟ وكيف تؤدي هذه المزاوجة دورًا بلاغيًا وتربويًا وتشريعيًا في تأكيد الحكم الشرعي وتنفير النفس من المعصية؟

ويندرج تحت هذا التساؤل الرئيس عدد من الأسئلة الفرعية، من أهمها:

1. كيف توزّعت مظاهر الثواب والعقاب في الآيات التي تناولت الربا؟
2. ما الأساليب البلاغية التي استخدمها القرآن الكريم لبيان هذا الربط؟
3. كيف فسّر العلماء هذا الربط؟ وما الغايات التي كشفوا عنها في سياق الأحكام؟
4. ما الأثر التربوي والوعظي لهذا الربط في النفوس، خاصة في قضية خطيرة مثل الربا؟

أهداف البحث

يسعى هذا البحث إلى تحقيق جملة من الأهداف العلمية والشرعية والبلاغية، أبرزها ما يأتي:

1. تحليل الأسلوب القرآني في الربط بين الثواب والعقاب، وبيان أثره في إيصال الأحكام الشرعية وترسيخها في وجدان المتلقي.
2. استخلاص أوجه الترغيب والترهيب في آيات الربا، وبيان التوازن البياني بين الوعد والوعيد في معالجة هذه الظاهرة الخطيرة.
3. الكشف عن الدلالات البلاغية في السياق القرآني لآيات الربا، وبيان كيف يُوظَّف الأسلوب البلاغي لخدمة المقاصد التشريعية والتربوية.
4. تقديم نموذج تطبيقي في الدراسة القرآنية المقارنة، من خلال تحليل آيات الربا في سورتي البقرة وآل عمران، وإبراز الفروق السياقية والأسلوبية بينها.
5. الإسهام في ترسيخ فقه البلاغة التشريعية في القرآن الكريم، وتعزيز الفهم المتكامل للنص القرآني من حيث المضمون والشكل والوظيفة.

منهج البحث

يعتمد البحث على المنهج التحليلي البلاغي لدراسة آيات الربا من حيث الربط بين الثواب والعقاب، مع استقراء آيات الربا في سورتي البقرة وآل عمران. كما يستخدم البحث المنهج التفسيري للاطلاع على آراء المفسرين في بيان دلالات هذا الربط وأثره التشريعي والتربوي.

المبحث الأول: الإطار النظري للثواب والعقاب في القرآن الكريم

أولًا: تعريف الثواب والعقاب في القرآن الكريم

الثواب والعقاب هما من المفاهيم الأساسية في العقيدة الإسلامية، حيث يشكلان نظامًا إلهيًا لتحقيق العدل الإلهي وتحفيز الإنسان على الالتزام بأوامر الله واجتناب نواهيه.

فالثواب: هو الجزاء الحسن الذي يمنحه الله للمؤمنين والمتقين على طاعتهم وأعمالهم الصالحة، ويظهر في الدنيا والآخرة، كالجنة والنعيم والرضا الإلهي.

قال الجوهري (ت: 393هـ): والثواب: جزاء الطاعة، وكذلك المثوبة. قال الله تبارك وتعالى: (لَمَثوبَةٌ منْ عِنْد اللهِ خير}[1]، وعند الراغب الأصفهاني (ت: 502هـ): الثواب ما يرجع إلى الإنسان من جزاء أعماله فيسمى الجزاء ثوابًا كما في قوله تعالى: {فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره}[2]، وذهب الطاهر ابن عاشور (ت: 1393هـ): إلى أن الثواب هو ما يجازى به العبد من الخير على فعل محمود[3].

وأما العقاب: فهو الجزاء السيء الذي ينزل بالكافرين والعصاة، ويشمل أنواعًا من العذاب في الدنيا أو الآخرة، كالنار والعذاب الأليم. قال ابن عاشور: "والعقاب: هو الجزاء المؤلم عن جناية وجرم، سمي عقابا لأنه يعقب الجناية"[4].

تتكرر هذه المفاهيم في القرآن الكريم في آيات كثيرة، إذ يربط الله بين العمل والجزاء، بين الخير والثواب، وبين الشر والعقاب، لتحقيق الهدف التربوي والشرعي. وفي يوم المعاد والبعث والحشر ينتصف الله للمظلومين من الظالمين ويوصل إلى أهل الطاعة الثواب، وإلى أهل الكفر العقاب، قال الله تعالى: {لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى}[5].

ثانيًا: أساليب الترغيب والترهيب وأهميتها في الخطاب القرآني

يستخدم القرآن الكريم أسلوبين مهمين في توجيه الناس وهدايتهم:

الترغيب: وهو حث الإنسان على العمل الصالح عبر وعده بالثواب، مثل الفوز بالجنة والرضا الإلهي.

الترهيب: وهو تحذير الإنسان من المعاصي عبر وعيد العقاب، مثل نار جهنم والعذاب الأليم.

هذه الأساليب تعد من أبرز وسائل الإقناع القرآني، حيث تلعب دورًا جوهريًا في دفع الإنسان نحو السلوك القويم، وتنظيم حياته الدينية والدنيوية. قال ابن كثير (ت: 774هـ) في تفسير قوله تعالى: {إن ربك لسريع العقاب} أي لمن عصاه وخالف شرعه {وإنه لغفور رحيم} أي لمن تاب إليه وأناب وهذا من باب قرن الرحمة مع العقوبة لئلا يحصل اليأس فيقرن تعالى بين الترغيب والترهيب كثيرا لتبقى النفوس بين الرجاء والخوف[6].

ثالثًا: أهداف الربط بين الثواب والعقاب من منظور تشريعي وتربوي

الربط بين الثواب والعقاب في آيات القرآن له أهداف متعددة من أهمها:

1. تحقيق العدل الإلهي: حيث يُجازى كل إنسان بحسب عمله، فلا يُظلم أحد، قال تعالى: {وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا}[7].
2. التحفيز على الطاعة: إذ يزيد الوعد بالثواب من دافع الإنسان لاتباع أوامر الله. قال الشوكاني (ت: 1250هـ) في تفسيره: كثيرا ما يذكر سبحانه وتعالى جزاء الكافرين ويذكر بعده جزاء المؤمنين، فيجمع بين الترغيب والترهيب والوعد والوعيد، لأن في ذلك من تنشيط عباده المؤمنين على طاعته، وتثبيط عباده الكافرين عن معصيته[8].

---

[1]- نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، *الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الطبعة 4*، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، (بيروت، دار العلم للملايين، 1407هـ - 1987م)، 95/1.

[2]- الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني، *المفردات في غريب القرآن*، الطبعة 1، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، (دمشق، دار القلم - بيروت، الدار الشامية، 1412هـ 1992م)، 180.

[3]- محمد الطاهر بن عاشور، *التحرير والتنوير*، (تونس، الدار التونسية للنشر، 1404هـ - 1984م)، 216/30.

[4]- ابن عاشور، *التحرير والتنوير*، 293/2.

[5]- محمد بن عمر بن الحسن الرازي، *مفاتيح الغيب*، الطبعة 3، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، 1420هـ – 2000م)، 231/1.

[6]- أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، *تفسير القرآن العظيم*، الطبعة 1، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، (بيروت، الكتب العلمية، 1419هـ - 1999م)، 448/3.

[7]- الكهف 49/18.

8- محمد بن علي الشوكاني، *فتح القدير*، الطبعة 1، (دمشق، دار ابن كثير – بيروت، دار الكلم الطيب، 1414هـ – 1994م)، 64/1.

3. الردع عن المعصية: فالوعيد بالعقاب يرهب النفس ويمنعها من الوقوع في الذنوب. فقد جاء القرآن الكريم مؤكدًا أن كل تكليف شرعي لا بد أن يُربط بعاقبته، سواء في صورة بشارة (ترغيب) أو نذارة (ترهيب)، وهذا من كمال حكمة التشريع قال الله تعالى: {وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (13) وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ}[1].

4. التربية الروحية والأخلاقية: إذ يربط بين السلوك والأثر، مما يعزز الالتزام الداخلي والوعي الديني. قال تعالى: {مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً} فهذه في الدنيا، ثم {وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}، فهذا في البرزخ والآخرة، فالإحسان له جزاء معجل ولا بد، والإساءة لها جزاء معجل ولا بدّ[2].

5. تنظم حياة الناس ومعالجة مشكلات واقعية في المجتمع: يقول ابن عاشور في تفسيره: والإرشاد إلى طريق الخير فهذا يشمل آيات الأحكام التي بها صلاح الناس في أنفسهم وصلاحهم في مجتمعهم[3].

المبحث الثاني: تحليل آيات الربا من حيث الربط بين الثواب والعقاب

أولًا: عرض آيات الربا في سورة البقرة

{الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (275) يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ (276) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (277) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (278) فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ (279) وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (280) وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ}[4].

ثانيًا: تحليل الآيات بين الوعد والوعيد والترغيب والترهيب

تبتدئ هذه الآيات الكريمة بتحذير صارخ يهزّ كيان السامع: {الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ}، وهو تصوير بليغ لحال آكل الربا يوم القيامة، إذ يُبعث على هيئة ممسوخ العقل، متخبط الجوارح، لا يقوم قيامًا سويًّا، كما يفعل الممسوس المذهول. هذا المشهد هو أبلغ ما يكون من الزجر والإنذار، وقد بيّنه المفسرون بيانًا شافيًا. قال الزمخشري (ت: 538هـ): هو تشبيه حالهم في القيام بحال المجنون المصروع، والمعنى أنهم يُبعثون يوم القيامة كالمصروعين، تلك سيماهم يعرفون بها عند أهل الموقف، بسبب ما ارتكبوه من ظلم[5].

ثم يذكر القرآن حجّتهم الباطلة في تبرير الربا: {ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا}، أي أنهم يزعمون أن لا فرق بين البيع والربا، فجاء الرد الإلهي الحاسم: {وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا}، فشتان بين ما أحل الله وما حرّم، فالبيع يقوم على الرضا والمصلحة المشتركة، أما الربا فيقوم على الاستغلال

---

[1]- النساء 4/13-14.

2- محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، *الوابل الصيب من الكلم الطيب*، الطبعة 3، تحقيق: سيد إبراهيم، (القاهرة، دار الحديث، 1419هـ - 1999م)، 47.

3- محمد الطاهر بن عاشور، *التحرير والتنوير*، 66/2.

[4]- البقرة 2/275-281.

[5]- محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري، *الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل*، الطبعة 3، (بيروت، دار الكتاب العربي،1407هـ)، 320/1.

والظلم. قال الزمخشري: وقيل الذين يخرجون من الأجداث يوفضون، إلا أكلة الربا فإنهم ينهضون ويسقطون كالمصروعين، بسبب أكلهم الربا فأرباه الله في بطونهم فأثقلهم، فما يقدرون على الإيفاض كغيرهم وذلك العقاب بسبب قولهم: {إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا}[1].

ثم تأتي الآية بالنداء الإلهي الرحيم: {فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ}، فيا من كنت واقعًا في هذه المعصية، قد فُتح لك باب التوبة، فإن صدقت في الإقلاع واستجبت للموعظة، فإن الله يغفر لك ما سبق، ويكل أمرك إليه، لا يضيع سعيك. قال الطبري (ت: 310هـ): أما (الموعظة) فالتذكير والتخويفَ الذي جاء في آي القرآن، وأما: (فله ما سلف)، فله ما أكل من الربا، قبل مجيء الموعظة والتحريم من ربه[2].

ثم يعقّب القرآن بالوعيد الشديد: {وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ}، وهذا خلود خاص بمن علم التحريم وتمادى عمدًا، فاستحق بذلك اللعنة والعذاب المقيم، نعوذ بالله.

ثم يأتي القانون الإلهي الصارم في قوله تعالى: {يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ}، فمن توهم أن الربا يزيد المال، فقد كذب عليه الشيطان، فإن محق الله للربا يعني زوال بركته، وضياع أثره، ولو بدا للعين وفيرًا. أما الصدقات فإن الله يبارك فيها وينمي أثرها في الدنيا والآخرة، كما جاء في الحديث: عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدْلِ تَمْرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ، وَلاَ يَقْبَلُ اللَّهُ إِلَّا الطَّيِّبَ، وَإِنَّ اللَّهَ يَتَقَبَّلُهَا بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يُرَبِّيهَا لِصَاحِبِهِ، كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فَلُوَّهُ، حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الجَبَلِ"[3].

ويليها وعد أهل الإيمان بالطمأنينة والأمان: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ}، فالمفارقة واضحة: هؤلاء في الأمن والرضوان، وأولئك في التخبط والنيران.

ويأتي بعد ذلك النداء الصريح للمؤمنين: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ}، فمن استمر في الربا بعد هذا البيان، فلا عذر له، بل هو منسلخ من الإيمان بمقدار تمرده على أمر الله. فإن أصرّ، جاء التهديد المرعب: {فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ}، وأي جُرم أعظم من أن يعلن الله عليك الحرب! وهو أقسى وعيد في القرآن لمن أصر على أكل الربا قال القرطبي (ت: 671هـ): "هذا وعيد إن لم يذروا الربا، والحرب داعية القتل"[4].

ثم يفتح الله باب التوبة لعباده فيقول: {وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ}. فلا ظلم للغني ولا للفقير، بل عدل ورحمة وإنصاف.

ثم نُختَم الآيات بلطائف التشريع والتيسير، حيث يقول الله تعالى: {وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ} فتأتي هذه الآيات الكريمة استكمالًا للمنهج القرآني المتوازن في معالجة قضية الربا، فبعد الزجر الشديد والوعيد العظيم، تُختم الآيات بلطائف الشريعة ومكارم الأخلاق. يقول تعالى: {وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ}، أي إذا كان المدين معسرًا، فعلى الدائن أن يُنظره حتى يوسر،

[1]- الزمخشري، *الكشاف*، 320/1.

[2]- محمد بن جرير الطبري، *جامع البيان في تأويل القرآن*، الطبعة 1، تحقيق: أحمد محمد شاكر، (مؤسسة الرسالة، 1420هـ - 2000م)، 14/6.

[3]- محمد بن إسماعيل البخاري، الجامع المسند الصحيح، الطبعة 1، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، (دار طوق النجاة، 1422هـ – 2001م)، كتاب الزكاة، باب الصدقة من كسب طيب، (رقم 1410)، 108/2.

[4]- محمد بن أحمد بن أبي بكر شمس الدين القرطبي، *الجامع لأحكام القرآن*، الطبعة 3، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، (القاهرة، دار الكتب المصرية، 1384هـ - 1964م)، 363/3.

فلا يجوز التضييق عليه، ولا المطالبة بما لا يقدر عليه. وقد اعتبر العلماء هذه الآية أصلًا في إنظار المعسر وعدم التعسف في المطالبة، فقال ابن كثير: وفي هذه الآية يأمر تعالى بالصبر على المعسر الذي لا يجد وفاء[1].

بل إن الشرع ندب إلى ما هو أرفع من الإمهال، فقال: {وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ}، أي أن تعفوا عن الدين كليًا فهو خير لكم، لأنه صدقة لكم عند الله وتخفيف عن عباده، والله يجازي المتصدقين بأضعاف ما أعطوا. قال الطبري: "وأن تصدقوا على المعسر برؤوس أموالكم خير لكم"[2]. واعتبر بعض العلماء أن هذه الآية عامة في جميع الديون، قال الجصاص (ت: 370هـ): "والذي في هذه الآية إنظار المعسر في الربا، وسائر الديون في حكمه قياسا عليه"[3].

وقد ثبت في الحديث الصحيح عن أبي هريرة، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "كَانَ رَجُلٌ يُدَايِنُ النَّاسَ، فَكَانَ يَقُولُ لِفَتَاهُ: إِذَا أَتَيْتَ مُعْسِرًا فَتَجَاوَزْ عَنْهُ، لَعَلَّ اللهَ يَتَجَاوَزُ عَنَّا، فَلَقِيَ اللهَ فَتَجَاوَزَ عَنْهُ"[4].

ثم تأتي الآية الأخيرة: {وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ} لتكون أعظم خاتمة لموضوع الربا، وهي آخر آية نزلت من القرآن الكريم كما ورد في الحديث عن ابن عباس رضي الله عنهما. فهي تلخّص مقصد التشريع كله، الخوف من يوم القيامة، والرجوع إلى الله، حيث لا ينفع مال ولا جاه، {ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ}. وقد قيل إن هذه الآيات في أحكام الربا، هن آخر آيات نزلت من القرآن[5].

ثالثًا: مظاهر الثواب والعقاب في هذه الآيات

مظاهر العقاب

تتضح مظاهر العقاب في آيات الربا في تحذير شديد من الله، وأن من يأكل الربا لا يقوم إلا كمصاب بالمس من الشيطان، وهذا تصوير نفسي وعقابي يشير إلى فساد النفس والابتعاد عن الصلاح. كما تتضمن الآيات تهديداً بالوعيد الأليم في الآخرة، وهو الخسران المبين.

مظاهر الثواب

تبرز مظاهر الثواب في الآيات بالدعوة إلى الإقلاع عن الربا، والتوبة النصوح، مع الوعد بالرحمة والمغفرة لمن يترك الربا ويُتق الله، حيث يُكرم الله المتقين ويبدل السيئات حسنات.

المبحث الثالث: الربط البلاغي بين آيات الوعد والوعيد

أولًا: الأساليب البلاغية المستخدمة في الربط بين الوعد والوعيد

1. أسلوب المقابلة (الوعد مقابل الوعيد)

[1]- ابن كثير، *تفسير القرآن العظيم*، 717/1.

[2]- الطبري، *جامع البيان*، 37/3.

[3]- أحمد بن علي الجصاص، *أحكام القرآن*، الطبعة1، تحقيق: عبد السلام محمد علي شاهين، (بيروت، دار الكتب العلمية، 1415هـ - 1994م)، 573/1.

[4]- مسلم بن الحجاج النيسابوري، المسند الصحيح المختصر، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، 1374هـ - 1954م)، كتاب المساقاة، باب انظار المعسر، (رقم 1562)، 1196/3.

[5]- الطبري، *جامع البيان*، 37/3.

حيث يظهر هذا الأسلوب جلياً بين ثواب المتقين وعقاب آكلي الربا، وهو أسلوب بلاغي يبرز التباين بين السلوكين وأثرهما، مثل قول الله تعالى: {فَمَن جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِن رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ} فهذا وعد الله للتائبين العفو والمغفرة. يقابله وعيده للمرابين الخلود في النار قال تعالى: {وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ}. فالبلاغة هنا في التقابل الواضح بين حالتين، مما يبرز أثر المعصية وأثر التوبة بأسلوب نفسي مؤثر.

2. أسلوب الالتفات بين الغيبة والخطاب

نلحظ في الآيات تحولًا من الغيبة إلى الخطاب: {الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا} غيبة. يقابلها خطاب مباشر: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا} والبلاغة في الالتفات تشد انتباه السامع وتجعله كأنه المخاطَب شخصيًا، مما يعظم أثر التحذير ويقرع النفس قرعًا. قال الزمخشري: والالتفات فنّ من الكلام وفيه هزّ وتحريك للسامع، والخروج في الخطاب من صنف إلى صنف، يستفتح الآذان للاستماع، ويستهش الأنفس للقبول[1].

3. الترقي في الوعيد (التصعيد التدريجي)

وهذا التصعيد التدريجي في الوعيد من مظاهر بلاغة التخويف والترهيب، ويهدف إلى الزجر الشديد عن الربا، وهو أسلوب ترهيبي تصعيدي نادر في القرآن.

فيبدأ بذكر حالهم عند البعث ووصف حالهم كالمصروعين، ثم الخلود في النار: {فَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ}، ثم يصل الذروة بإعلان الحرب من الله ورسوله: {فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ}، والتهديد بإعلان الحرب وهو أقوى صور التهديد مع تنكير (حرب) لتكبير ما فيها من وجل وتحذير من عواقب الربا، قال ان عاشور: "وتنكير حرب لقصد تعظيم أمرها ولأجل هذا المقصد عدل عن إضافة الحرب إلى الله وجيء عوضًا عنها بمن ونسبت إلى الله لأنها بإذنه على سبيل مجاز الإسناد، وإلى رسوله لأنه المبلغ والمباشر"[2].

4. التشبيه والتصوير

تصوير حالة آكل الربا بأنه كالمصاب بالمس من الشيطان يعطي بعدًا نفسيًا وواقعيًا للتأثير السلبي للربا، مما يجعل العقاب محسوسًا ومرئيًا. وذكر ابن عطية (ت: 542هـ) معنىً بليغًا في ذلك فقال: وفي الآية تشبيه حال القائم بحرص وجشع إلى تجارة الربا بقيام المجنون، إذ أن الطمع والرغبة تستفزه حتى تضطرب أعضاؤه، كما يُقال في وصف من يُسرع في مشيه ويتخبط في تصرفاته كأنّه مجنون[3].

5. أسلوب الشرط والجزاء

ومثاله قوله تعالى: {وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ} وفي هذا الشرط تحفيز لطيف للتوبة لأنه يقرنها بحقوق محفوظة، أي أن التوبة لا تعني الخسارة بل السلامة والتحرر من دنس المال الحرام، فهو خطاب فيه وعد مشروط. كما أشار **ابن عاشور** إلى أن الربط بين التوبة وضمان رأس المال فيه تحفيز على التطهر من الطمع دون الخوف من الضرر[4].

---

[1]- الزمخشري، *الكشاف*، 1/88-89.

[2]- ابن عاشور، *التحرير والتنوير*، 3/94.

[3]- عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، *المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز*، الطبعة 1، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، (بيروت، دار الكتب العلمية، 1422هـ – 2002م)، 1/372.

[4]- ابن عاشور، التحرير والتنوير، 3/93.

6. الإطناب بالتفصيل بعد الإجمال

تميزت آيات الربا في سورة البقرة بأسلوب بلاغي رفيع يتجلى في الإطناب، حيث جمعت بين النهي الصريح، والتشبيه المرعب لحال آكل الربا، والوعيد الشديد بالحرب من الله ورسوله، والشرط والجزاء، والتقسيم بين التائب والمصرّ. وقد أشار الطاهر ابن عاشور إلى أن هذا الإطناب ليس مجرد تطويل بياني، بل هو أسلوب مقصود للإنذار والزجر لما فيه من زيادة في التهويل والتفظيع[1]، مما يستدعي تحريك القلوب للتوبة.

ثانيًا: الربط بين آيات الثواب والعقاب

يجمع القرآن الكريم في كثير من المواضع بين آيات الثواب والعقاب، بأسلوبٍ تربوي وبلاغي يُخاطب فطرة الإنسان التي تتأثر بالرجاء والخوف معًا. ويتجلّى هذا الربط بوضوح في آيات الربا، حيث تُعرض العقوبة الشديدة لمتعاطيه، إلى جانب الوعد بالرحمة والأجر لمن تاب وأنفق وتجنّب الربا، في توازن يُرسِّخ الالتزام بالتشريع من خلال الجمع بين الترهيب والترغيب.

وفيما يلي أبرز أوجه الربط بين الثواب والعقاب كما تتضح من آيات الربا في سورة البقرة:

1. **المقابلة السياقية بين حال المتقين وحال المرابين:** جاء بعد ذكر حال آكلي الربا وعقوبتهم قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ}، وهذا الأسلوب يربط بين الطرفين: المرابون: لهم الخزي والعذاب. والمتّقون: لهم الأجر والأمن، والمقابلة بين الثواب والعقاب تُبرز المعنى بالتضاد وتُفعل الأثر النفسي في المتلقي.
2. **الربط بين التوبة من الربا ونفي الظلم:** {وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ}، فالتوبة تُقابل بالعفو، والرجوع يُكافأ بسلامة المال. وهذا الربط يُظهِر أن الامتثال يحقق العدل والثواب، والمخالفة تؤدي إلى الظلم والعقوبة.
3. **الربط بين الإنفاق المشروع والثواب، والربا والعقاب:** قوله تعالى: {يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ}، ربط بين محق الربا يساوي العقاب، وتنمية الصدقات تساوي الثواب. فالفرق في المصير بيّن: ما كان لله نمى، وما كان ظلمًا للعباد مُحق وأُهلك.
4. **الربط بين العقوبة في الدنيا والعذاب في الآخرة، والأمن في الدنيا والنعيم في الآخرة:** فالأول إشارة إلى الحرب في الدنيا والخلود في النار في الآخرة، والثاني إشارة لمن ترك الربا امتثال أمر الله فكان جزاءه الأمن في الدنيا والجنة في الأخرة، فالحرب من الله أشد الوعيد، يقابلها الرحمة لمن تاب، وهو قمة في التقابل بين الثواب والعقاب.
5. **الربط بين التشريع والمآل الأخروي:** بعد الحديث عن الربا تأتي آية خاتمة جامعة قوله تعالى: {وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ} فهذه الآية تختم الآيات بأقوى أسلوب بلاغي توعوي جامع في مقام يربط كل ما سبق من الوعد والوعيد باليوم الآخر، مما يحفّز على الامتثال. وعن ابن عباس رضي الله عنهما: آخر آية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم آية الربا[2].

المبحث الرابع: مقاصد الشريعة من ربط الثواب والعقاب بتحريم الربا

أولًا: تحقيق العدالة الاجتماعية

[1]- ابن عاشور، *التحرير والتنوير*، 250/23.

[2]- الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي، *معالم التنزيل في تفسير القرآن*، الطبعة 1، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، 1420هـ – 2000م)، 392/1.

إن الربا يُنتج تراكماً ظالماً للثروات بيد القادرين، ويزيد من فقر المحتاجين، مما يُخلُّ بتوازن المجتمع وعدالته. فجاء التحريم والوعيد الشديد لتحقيق مقصد العدالة الاجتماعية، وهو ما يدل على اهتمام الشريعة بميزان العدل بين الناس.

ثانيًا: حفظ المال ومنع الاستغلال

الربا يفضي إلى التهام أموال الناس بالباطل، ولذلك كان ربط التحريم بالثواب والعقاب أسلوبًا لحفظ المال من جهة، ومنع استغلال الفقراء من جهة أخرى، فتعظيم أمر الربا وغلظ تحريمه وتهديد آكله بالحرب، كل ذلك يهدف إلى حماية أموال الناس من الظلم.

ثالثًا: إصلاح النفوس وتزكيتها بالتقوى

اقتران النهي عن الربا بالتشبيه المخيف كـ{الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ}، وبالوعيد: {فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ}، ثم تقديم التوبة بعبارة لطيفة: {فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ}، كل ذلك يعكس حرص الشريعة على تزكية النفس، وتربيتها على التقوى والامتثال. وقد أشار الزمخشري إلى أن الالتفات إلى خطاب المؤمنين بقوله: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا} فيه استنهاض وتحذير، فالمخاطبون معنيون بالتحذير المباشر[1].

رابعًا: مكافحة الظلم الاقتصادي والتفاوت الطبقي

الربا يؤدي إلى هيمنة أصحاب الأموال على الأسواق والطبقات الضعيفة، وهو أصل من أصول الظلم المالي، فكان تحريمه مشفوعًا بالوعيد الشديد للحد من ذلك. وقد صوّر ابن كثير حال آكل الربا تشبيهًا مرعبًا كالمجنون الذي يتخبطه الشيطان[2]، للدلالة على خلل الإنسان حين يسير خلف الطمع بلا ضوابط. ويدخل هذا في باب مقاصد الشريعة الهادفة إلى الحد من الظلم والفساد المالي، وتحقيق التوازن الاقتصادي المشروع، عبر منع الربا وتيسير البدائل المشروعة كالقرض الحسن والمشاركة، وغي ذلك.

خامسًا: الحث على التقوى والعمل الصالح

اقترن تحريم الربا بالتذكير بالله واليوم الآخر، والحث على التوبة والإنابة، مما يجعل الخطاب موجّهًا لتربية الضمير وتحقيق التقوى. فقد جاء في الآيات: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ} وهو أسلوب تربوي يربط الامتثال للإيمان بترك الربا، ويحث على السلوك الصالح. وقد نبّه **ابن عاشور** إلى أن اقتران الأمر بترك الربا بوصف الإيمان أسلوب تربوي يدعو إلى تطهير السلوك بالتقوى، قال: "وأمروا بتقوى الله قبل الأمر بترك الربا لأن تقوى الله هي أصل الامتثال والاجتناب ولأن ترك الربا من جملتها. فهو كالأمر بطريق برهاني"[3].

سادسًا: حماية المجتمع من التفكك الاقتصادي

الربا يُكرّس الفجوة بين الفقراء والأغنياء، ويهدد استقرار المعاملات المالية، ويُضعف روح التكافل، فكان التحذير الشديد وسيلة لحماية المجتمع من التمزق الاقتصادي، لأن استمرار العمل بالنظام الربوي يُفضي إلى انهيار العلاقات الاقتصادية السليمة.

سابعًا: تطهير النفوس من الطمع والجشع

[1]- الزمخشري، *الكشاف*، 1/88-89.

[2]- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 1/465.

[3]- ابن عاشور، التحرير والتنوير، 3/93.

صور التشبيه القرآني في آيات الربا كحال المجنون تهدف إلى كشف أثر الطمع في تشويه فطرة الإنسان. وقد قال بعض المفسرين —كما في مضمون تفسير ابن عاشور — إن هذا التصوير يوحي بأن آكل الربا مضطرب النفس أعمى البصيرة، يُحرّكه الطمع حتى يضطرب كالمجنون، في إشارة إلى أن الجشع يُفسد العقل والسلوك[1].

الخاتمة

بعد هذا العرض التحليلي لآيات الربا في سورة البقرة، يتبيّن أن الربط بين الثواب والعقاب جاء بأسلوب بلاغي وتشريعي مقصود، يخدم مقاصد الشريعة في ترسيخ العدالة، وتزكية النفوس، وحماية المجتمع من الظلم الاقتصادي. فقد تدرّج الخطاب من بيان الحكم، إلى التهديد بالحرب، ثم الدعوة للتوبة، وانتهى بتذكير شامل بيوم الحساب، مما يجمع بين الزجر والترغيب، والردع والتربية.

وقد نوّعت الآيات في الأساليب البلاغية من تشبيه، وشرط، وتقسيم، وإطناب، بما يضمن تأثيرًا نفسيًا ومعنويًا عميقًا، يربط القارئ لا بمجرد التحريم، بل بمصير الإنسان أمام الله. وهذا ما نبّه إليه المفسرون، كابن عاشور والرازي والزمخشري، في إشاراتهم إلى التهويل البلاغي، والترتيب التربوي في بنية هذه الآيات.

وبذلك يظهر أن أسلوب الربط بين الثواب والعقاب في آيات الربا ليس مجرد عرض فقهي، بل منظومة متكاملة لبناء الضمير الديني، وتحقيق الإصلاح الاقتصادي والاجتماعي، وفق هدي الشريعة ومقاصدها العليا.

نتائج البحث

- تُظهر آيات الربا في سورة البقرة تكاملاً بين التشريع والبلاغة، يربط التحريم بجزاء أخروي ودنيوي، بما يعمّق أثره في النفوس.
- يخدم هذا الربط بين الثواب والعقاب مقاصد الشريعة في العدالة، وحماية المال، وتطهير النفس وتطهير النفس من الجشع والطمع، وتحقيق التكافل الاجتماعي.
- الأساليب البلاغية المتنوعة في الآيات كالتشبيه، والإطناب، والشرط، والتقسيم، وظّفت لهدف تربوي عميق لا مجرد البيان، وهو ما صرّح به عدد من العلماء.
- التهديد بالحرب، والتذكير بيوم الرجوع إلى الله، والتقسيم بين التائب والمصرّ، كلها تؤكد أن العقوبات ليست دنيوية فقط، بل أخروية كذلك، وهو ما يرسّخ الرقابة الذاتية ويحدّ من التجاوزات الاقتصادية.

التوصيات

- دراسة مزيد من النماذج القرآنية التي تربط بين الثواب والعقاب في قضايا تشريعية، لفهم أعمق لأثر هذا الأسلوب في تقويم السلوك الفردي والجماعي.
- الاهتمام بالتكامل بين البلاغة والتفسير الموضوعي، خاصة في الآيات ذات الطابع الاقتصادي والاجتماعي، لإبراز الأبعاد الحضارية للخطاب القرآني.

[1]- ابن عاشور، التحرير والتنوير، 81/3.

- تضمين هذه القيم في المناهج التربوية والدعوية، لتنشئة وعي إيماني ومالي متزن، يُدرك أن التعاملات الاقتصادية جزء من الدين، وميدان للمسؤولية أمام الله.
- تفعيل روح الآيات في الواقع المعاصر، بسنّ قوانين اقتصادية عادلة تُحاكي فلسفة الشريعة في محاربة الربا، وتحقيق التكافل، وردع الجشع المالي.

المصادر والمراجع

ابن عاشور. محمد الطاهر بن محمد. *التحرير والتنوير*. الدار التونسية للنشر، تونس، 1404هـ، 1984م.

ابن كثير. إسماعيل بن عمر. *تفسير القرآن العظيم*. تحقيق: محمد حسين شمس الدين. بيروت: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون، الطبعة 1، 1419هـ/ 1999م.

ابن قيم الجوزية. محمد بن أبي بكر. *الوابل الصيب من الكلم الطيب*. تحقيق: سيد إبراهيم، دار الحديث – القاهرة، الطبعة 3، 1419هـ – 1999م.

البخاري. محمد بن إسماعيل. *الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه*. تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر. دار طوق النجاة، الطبعة 1، 1422هـ، 2002م.

البغوي. الحسين بن مسعود. *معالم التنزيل في تفسير القرآن*. تحقيق: عبد الرزاق المهدي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، الطبعة 1، 1420هـ/2000م.

بن عطية. عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن. *المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز*. تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة 1، 1422هـ/2002م

الجصاص. أحمد بن علي. *أحكام القرآن*. حقيق: محمد صادق القمحاوي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، 1405هـ – 1985م.

الجوهري. إسماعيل بن حماد. *الصحاح: تاج اللغة وصحاح العربية*. تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة 4، 1407هـ/ 1987م.

الراغب الأصفهاني. أبو القاسم الحسين بن محمد. *المفردات في غريب القرآن*. تحقيق: صفوان عدنان الداودي. دمشق – بيروت: دار القلم، الدار الشامية، الطبعة 1، 1412هـ/1992م.

الرازي. محمد بن عمر. *مفاتيح الغيب = التفسير الكبير*. دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، 1420هـ – 2000م.

الزمخشري. محمود بن عمرو. *الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل*. المجلد 4. بيروت: دار الكتاب العربي، الطبعة 3، 1407هـ – 1987م.

الشوكاني. محمد بن علي. *فتح القدير*. دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة 1، 1414هـ، 1994م.

الطبري. محمد بن جرير بن يزيد. *جامع البيان في تأويل القرآن*. تحقيق: أحمد محمد شاكر. مؤسسة الرسالة، الطبعة 1، 1420هـ، 2000م.

القرطبي. محمد بن أحمد الأنصاري. *الجامع لأحكام القرآن*. تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية، 1384هـ، 1964م.

مسلم. أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري. *المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم*. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.